الخاتمـــــة

ونتائج البحث

من دراستنا لموضوع "علاقات مصر الخارجية فى عصر الدولة الوسطى" يتح أن موضوع العلاقات بين مصر وجيرانها، موضوع حيوي جدير بالمناقشة والبحث، حيث يبرز الدور العظيم الذى لعبته مصر مع جيرانها فى الشمال والشرق والجنوب والغرب، فى شتى نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفنية، وقد خلصنا من الدراسة بالنتائج التالية:

أولاً: فى المجال السياسى:

١- أثبتت الدراسة، أن مصر علمت جيرانها تنظيم العلاقة بين الحاكم والرعية، واحترام حقوق الحكام وحقهم فى قيادة بلادهم والالتفاف حولهم، فأرسلت بذلك اللبنة الأولى لقيام الحكومات، فنشأت "مملكة كرما" فى عصر الدولة الوسطى وعلى غرارها قامت (مملكة نباتا) وأصلها مصرى كذلك أنشأت نظام الإمارات، وكان لكل إمارة حاكم له حقوق وعليه واجبات تجاه قومه، كما حدث فى غرب آسيا عندما تكونت إمارة "جبيل" (بيبلوس) وأميرها "إبشيمويب" الذى حمل اللقب المصرى "حاتى عا" بمعنى أمير وقلد المصريين فى أسلوب الحكم.

٢- لعل وجود تماثيل لوزراء مصر أمثال "جحوتى حتب" أمير بنى حسن، وكذلك مجموعة الوزير "سنوسرت عنخ" خارج مصر، ما يؤكد هذه الحقائق، ويبرز دورهم كمبعوثين دبلوماسيين فى عصر الدولة الوسطى، ويشير إلى روح المودة والعلاقات الطيبة والدور الرائد لمصر فى منطقة العالم القديم، كذلك إحضار بعض الأمراء الآسيويين إلى مصر، حيث أنهم من المخلصين (كما ذكر سنوحى) أمثال أمير كيوشو المدعو "ياء وش" وأمير الفنخو "مينوس" لتعليمهم فى البلاط الفرعونى، فن قيادة الشعوب، ومن هنا جاءت الفرصة لتبادل الهدايا

الموكينـــية، بـــدأت بعد الحضارة المينوية بحوالى مائة عام[١]، ولا جادل استمدت جذورهـــا من الحضارة المينوية، فظلت التأثيرات المصرية تغزو أوربا من ناحية الجـــنوب الشرقى طوال هذه الحقبات الزمنية وما جاء بعد ذلك من عصور، وأن نســـى المتناســـون والكـــتاب المحدثـــون أساس العلوم الأوربية الحديثة فى سائر الميادي ـــن، وخاصة فنون الهندسة والعمارة والطب والصيدلة، وغيرها قد نقل من مصـــر بواســـطة الوافديـــن الإغريق الذين جاءوا إلى مصر، تجاراً وطلاب علم، ويشـــهد العـــالم القديم مكانة الإسكندرية قديماً، منارة العلوم ومن تلاميذها سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، وكلهم إغريق[٢].

وليست مكتبة الإسكندرية – إلا تياراً من الماضى يبعث بثنى ضياء هذه الأيام.

ثانياً: فى المجال الاجتماعى

١- أكـــدت الدراسة على عمق روح المودة والتفاهم والود المتبادل بين مصر وجـــيرانها من خلال العلاقات الاجتماعية التى كشفت عنها قصة "سنوحى" أثناء إقامته فى غرب آسيا وزواجه من آسيوية هى بنت زعيم أحد القبائل العربـــية هناك، كذلك تعاطف الآسيويون مع "سنوحى" أثناء صراعه ضد غـــريمه الآســـيوى، والـــتى انتهت بقتل سنوحى لغريمه وفرح الآسيويون لذلك، وكذلك تملك سنوحى لأراضى آسيوية ادارها بحكمته وأورثها لأبنائه حينما رجع إلى مصر.

٢- أمـــا فى بلاد النوبة فتتجلى العلاقات الاجتماعية من خلال تمسك النوبيين مـــن أهل كوش بضرورة دفن الأمير المصرى "حعبى زافاى" أمير كرها بيـــنهم، وأجريت له طقوس الدفن القومية عندهم ــ كما سبق العرض فى

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى: المرجع السابق، ص ٨٢.

(٢) للمزيد عن فضل مصر والمصريين على العالم الحديث، انظر:

مارتـــن بـــرنال: أثينة السوداء، الجذور الأفرو آسيوية للحضارة الكلاسيكية، الجزء الأول، تلفيق بلاد الإغريق ١٧٨٥– ١٩٨٥. ترجمة: نخبة من علماء التاريخ القديم والآثار، القاهرة، ١٩٩٧م.

الدراســة ــ رغــم أن حعبى زفاى له قبر كبير فى أسيوط اهتم به الكهان المصــريون، طــبقاً لوصــاياه العشرة المسجلة على جدران هذا القبر فى أسيوط.

ثالثاً: فى المجال الاقتصادى

١- كشــفت الدراســة عــن حــركة التجارة بين مصر وجيرانها وخاصة فى الجنوب والشرق والشمال الشرقى واهتمام المصريين بتأمين طرق التجارة فــى عصر الدولة الوسطى، وما كانت التماثيل والجعارين إلى غير ذلك، (وهى خفيفة الحمل)، إلا دلائل تاريخية على النشاط التجارى الكبير، الذى ربط مصر بجيرانها فى تلك الآونة، ويذكر تشرنى Cerny استخدم بعض رجــال الــبدو كوســطاء للاتصــال بالسكان المحليين، وكيف أشركوهم المصــريين فــى بعثات التعدين وأخذوا منهم حراس للقوافل التجارية فى الصــحراء ســواء الشــرقية أو الغربية، وفى بعض الأحوال ربما كانوا "رهائن" لمنع القلاقل والفوضى التى يثيرها ذويهم من سكان الصحراء[١]، ولــم تكن التجارة حكراً على المصريين، وربما فى قافلة الشيخ أبشا ibš3 "الآسيوى" الذى جاء ومعه رفاقه من أرض "شوتو العليا" او أرض جلفاد[٢] ما يشير إلى حرية التجارة، كذلك أبرز سنوسرت الثالث فى لوحة الحدود ما تيسير السبل للزنوج القادمين بتجارتهم، كما ورد اسم أحد الآسيويين فى الــنقوش المصرية التى ترجع إلى عهد سنوسرت الثالث، وكان يعمل فى

---

(١) Cerny, J., "Semites" in Egyptian, Mining Expeditions to Sinai", JCOL, VII, (1935), p. 385.

وكذلــك: Gardiner, A., Peet, E., 7 Cerny, J., The Inscriptions o Sinai, vol. I, II, (1954), p. 90.

(٢) Posener, G., "Neuvelles Listes de Proscription (Ächtung texte) Datani du Moyen Empire" CDE 27, 1939, p. 90, No. 54.

البعـثات المصـرية للتعدين ويدعى (١) كذلك ورد كثير من أسماء الآسيويين الذين يعملون فى البيوتات المصرية للمعابد.

٢- لفتـت مصـر أنظار جيرانها إلى أهمية الخامات الطبيعية كالأخشاب التى كانـت تستوردها مصر من بيبلوص وأيضاً المعادن كالفضة التى جاء بها الكريتيون إلى مصر والرصاص الذى قدمت به قبائل "التمحو""Tym pw" من موقع إفريقى فى شرق مصر.

٣- ممـا سـاعد على الاتصالات التجارية المباشرة بين مصر وجيرانها فى عصـر الدولـة الوسطى أن الجعارين وهى منقولات تجارية سهلة الحمل صغيرة الحجم.

رابعاً: فى مجال الدين والثقافة

١- ولقـد أثـرت مصر فى جيرانها تأثيراً دينياً، فمنها نقلوا بعض الطقوس الدينية وتشييد المعابد، والجعارين التى ترجع إلى عصر الدولة الوسطى، لها من القوة فى نقل التأثيرات المصرية المتمثلة فى هيئة الآلهة تاررت، والشـمس المتسـعة، وأيضـاً زهرة اللوتس التى تمثل عنصر زخرفى ومعمـارى متميز فى الحضارة المصرية، بغض النظر عن الفنان المنفذ للجعاريـن والـرموز الزخرفية الأخرى مصرياً كان أو من سكان البلاد المجاورة، وتجار كريت (المينويون) الذين تأثروا، تأثراً كبيراً بالحضارة المصرية القديمة، هم الذين نقلوا المنقولات الخفيفة من مصر كالجعارين والقلائـد والتمائم، ربما لاعتقاد سائد فى تلك الأزمنة، وهو الحفاظ على الإنسـان من الأرواح الشريرة بواسطة التقلد بالقلادات والتمائم المصرية وكـان فـى الاسـتعانة بتماثيل الفراعنة المصرية المشكلة على هيئة أبو الهـول رمـزاً للحماية ورد الأعداء عنهم، وكذلك الأمر بالنسبة للتماثيل

---

(١) Gardiner, A., Inscription of Sinai, vol. II, p. 90.

الخاصـــة بالأفـــراد مـــن طبقة الكهنة المصريين، ونقلت إلى هذه البلاد، خصوصاً غرب آسيا، ومن القرائن التاريخية على الاتصالات الودية بناء معـــبد فى (بيبلوص) جبيل على شاطئ البحر المتوسط الغربى، فى لبنان الحالـــية، أما الكريتيون فقد نقلوا عن المصريين فن الإنشاد الدينى، ولعل مـــنظر المنشـــد الديـــنى المصـــرى، الـــذى يتبعه طائفة من الحصادين الكريتييـــن، نـــراه منقوشـــاً على إناء مينوى ــ سبق الإشارة إليه ــ من الأدلـــة التاريخـــية بل قرينه أثرية تؤكد ذلك؛ وأن احتفظ المصرى القديم لنفســـه بالأســـرار المتعلقة بالتحنيط، قبل الدفن، وإجراء الطقوس الدينية، كاستأجار الندابات (النائحات) وكذلك عن فترة النفخ فى الصور (فترة ما قبل البعث) وطائر الروح "با" b3 التى تشكل فى جسم طائر ورأس آدمى، بغرض الحفاظ على أسرار العقيدة التى تحتاج إلى مزيد من البحث حتى يومنا هذا.

خامساً: فى مجال الفن والهندسة المعمارية:

أثـــرت الحضـــارة المصرية بفنونها المعمارية فى جيرانها، سواء فى بلاد غـــربى آسيا (سوريا وفلسطين) أو سكان جزر بحر إيجه وكريت (الميناويين) او أهـــل الجـــنوب النوبييـــن وكذلك، قبائل الغرب الليبيين، وعلى سبيل المثال انتقال صناعة الأوانى الفخارية والتماثيل الصغيرة وأدوات القتال إلى جيرانهم.

سادساً: فى مجال النقش والتصوير الجدارى والزخرفة

١- أثر الفن المعمارى المصرى فى أدق أنواع العمارة السورية القديمة يتضح ذلـــك فـــى فـــن بناء الهياكل السورية، التى كانت أكثر تبسطاً فى التكوين والبـــناء ولعـــل القريـــنة التاريخـــية التى تؤكد ذلك بقايا هيكل مارتواس

(عمريـــت) فـــى ســـوريا، ويدل ذلك على التأثير الكبير للدين على فنون الهندسة المعمارية.

٢- نقـــل الميـــنويون عن المصريين فن الزخرفة فى قصورهم، بخاصة قصر "كنوسو" وإن ظهرت بعض الآراء المعارضة لذلك من الكتاب المحدثين إلا أن الأدلـــة التاريخية دامغة. والمغالطة من هؤلاء باهتة[١]، وينفى صاحب هذا الرأى المطابقات بين الحضارة المصرية والكريتية، فهو يفسر الصور والرسوم على الآثار المصرية تفسيراً سطحياً يخلو من الدراسة الأكاديمية المتعمقة.

يقـــول مـــثلاً "ألف نظرك إلى أوعية الحصادين الكريتيين، الذين يغنون، وفى بعـــض الحـــالات الحصـــادين الـــثملى عند عودتهم من جمع المحصول، صور لأشـــخاص تعبر عن جو تسوده البهجة والمرج (شكل ١١١) ولا نرى هذا المرح والـــبهجة فى الصور المصرية، وهذا يدعونى لاستغراب محاولة إدعاء المفسرين عن الطوائف الدينية المصرية فى قصر كنوسوس".

ويتصـــدى الـــدارس لهـــذا الرأى، ويرى أنه من الصعب بل المستحيل تفسير الناحية السيكولوجية للنقوش المصرية والكريتية معاً، بل من الخطأ إدراك ذلك عن طريق الرسوم الجدارية والنقوش، والواقع اتصف المصرى القديم بالجدية فى أداء أعماله اليومية، فشيد أعظم حضارة عرفها التاريخ، ولم تخلو حياة المصرى القديم من روح المرح والدعابة ولعل فى تمثيل الإله "بس" Bas إله المرح ما يشير إلى ذلك[٢].

---

(١) Georg Wunderlich, H., The Secret of Crete, (trans. by Winston) Athens, 1983, p. 172. and figs. 53, 54.

(٢) محمد أنو شكرى: الفن المصرى القديم، ط٢، ١٩٩٨، ص ١٤، شكل ٦٩؛

وقارن: Wunderlish, G., op.cit., p. 172, fig. 53 & 54.

وإذا كـــان جورج فندراش G. Wunderlich لم يتجول كثيراً فى مقبرة "عنخ حـــور" الـــذى يســـوقها دليلاً على كلامه وخصوصاً منظر الندبات (النائحات)[١]، (شكل ١١٢) فإلى جانب ذلك يوجد منظر يعبر عن المرح فى نفس المقبرة، منظر تـــبدو فـــيه الراقصـــات المصريات، فى أوضاع جديدة، ينحنين كثيراً إلى الوراء مطوحات أحد أقدامهن فى الهواء[٢] (شكل ١١٣).

ونذكـــر أن الفـــنان المصـــرى القديم عبر فنياً عن طبيعة الموقف الذى يتناوله بالرســـم أو الـــنقش مطوعاً الخامة المستخدمة لطبيعة العمل الذى يؤديه، فاتصف الفـــنان المصـــرى بالمثالـــية، كهدف سامى فى تصوير الأشخاص والعناصر فى أفضل صورة، وأحسن الوضاع لتبدو بشكل مثالى بغير عيوب، فصور الملوك فى ســـن الشـــباب وكذلك صور القرابين والنذور وحيوانات الحقل فى أحسن صورة، هدفه بذلك تحقيق المثالية فى الحياة الثانية عند البعث.

ولا جـــدال أن الفـــنان الكرســـتى قد قلد الفنان المصرى الذى رسم الرأس من الجانـــب (بروفـــيلاً) بيـــنما ترسم العين مواجهة، والصدر والأكتاف مواجهة بينما الأرجـــل فى الوضع الجانبى، وعند رسم القرابين أيضاً، يصورها بجانب بعضها مـــتجاورة حـــتى لا يخـــتفى أى جزء منها فنراها مفرودة على الحائط فوق مائدة القرابيـــن، دون التزام بالمنظور، وهذا هو وضع المواجهة، وقد حذا حذوه الفنان الكريـــتى وقارن بالفن المصرى (شكل ١١٤). ونلاحظ تقدم الرجل اليسرى على اليمنى مع ارتكاز الجسم على الساق اليمنى[٣]، وهذا ما فعله الفنان الكريتى أيضاً.

ســـابعاً: ظهر تأثير الأختام المصرية فى عصر الدولة الوسطى بخاصة الأختام المـــربعة والمســـتديرة glyptique الخـــاص بالأسرة الثانية عشرة بدلاً من الختم الحلـــزونى Spirale الخـــاص بكريت وتعتبر خير دليل على توطيد العلاقات بين

---

(١) محمد أنور شكرى: المرجع السابق، ص ١٤١، صورة ٢٠٣.

(٢) محمد أنور شكرى: نفس المرجع، ص ١٤٠، صورة (١٧٩).

(٣) صبحى الشارونى: فنون الحضارات الكبرى، ج١، ط٢.

المصريين وجزر بحر إيجه وكانت الأختام تصنع من الأحجار الصلبة، كما ظهر عـندهم الأخـتام العاجـية والذهبية وغلبت فى مواضيع النقوش تمثل الحيوانات واستخدمت على سدادات الجرار كما نجد آثارها على اللوحات الطينية التى تحمل نص المعاهدات وعلى الرسائل التى وجدت فى تل العمارنة(١).

وعبثاً ستذهب جهود الكلاسيكيين الذين يغلقون آذانهم وعيونهم بغرض التقليل من شأن الحضارة المصرية(٢)، وأخيراً حقيقة أنكرها المؤرخون فى التاريخ القديم "أن للمصـريين اليد العليا فى بلاد اليونان" ولكن كانت مألوفة قبل القرن الخامس ق.م.

---

(١) Kantor, H., "The Early relations of Egypt with Ssia": JNES, I, (1942), pp. 174-213.

وكذلك: منى نخلة: علم الآثار، (د.ت)، بيروت ص ١٩١، وما بعدها.

(٢) يذكـر عالم الساميات روبرتسون سميث Robert Son Smith أن هناك تأثير من الشرق الأدنى على بلاد الإغريق، لذلك أنهم بتهمة الهرطقة ونفى من بلاده.

انظر: مارتن برنال: المرجع السابق، ص ٦٩٦، وكذلك هامش: ١٤٣، ١٤٤.